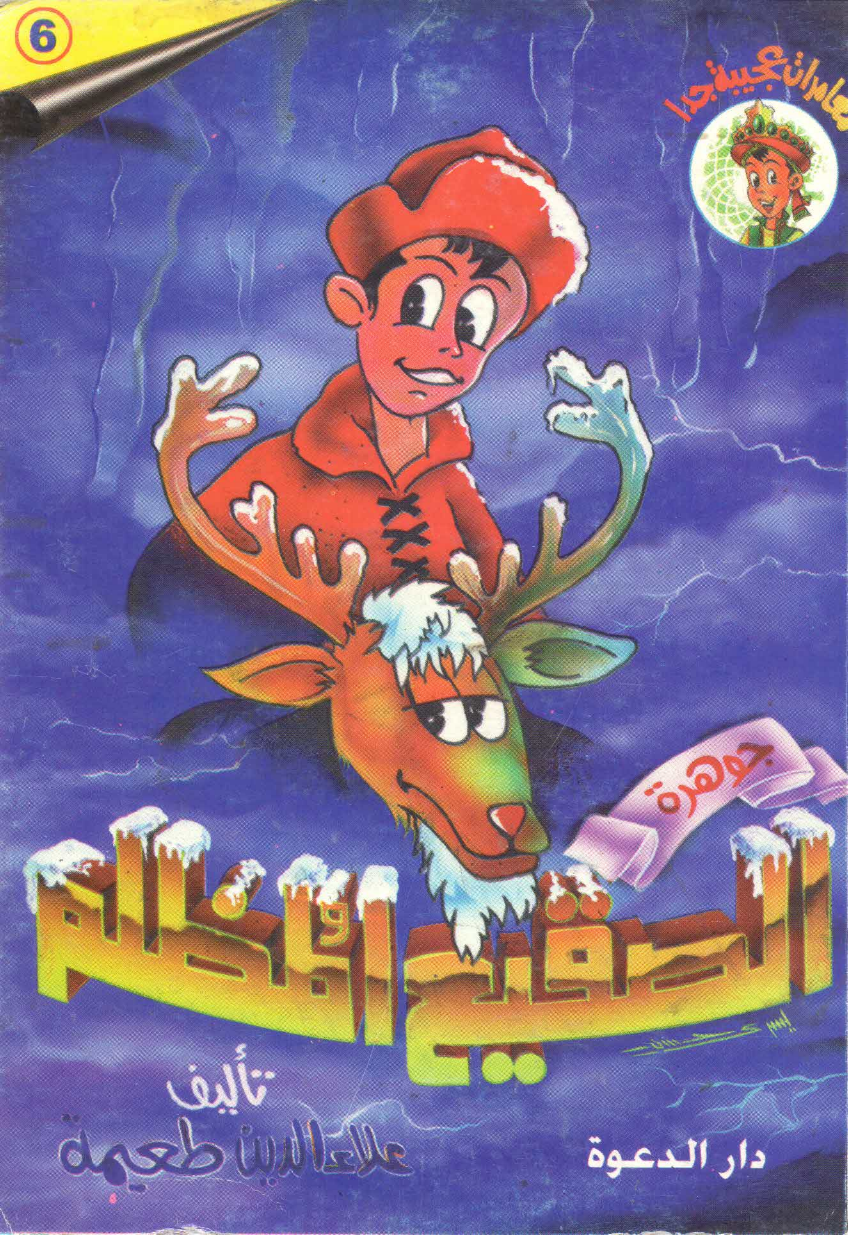
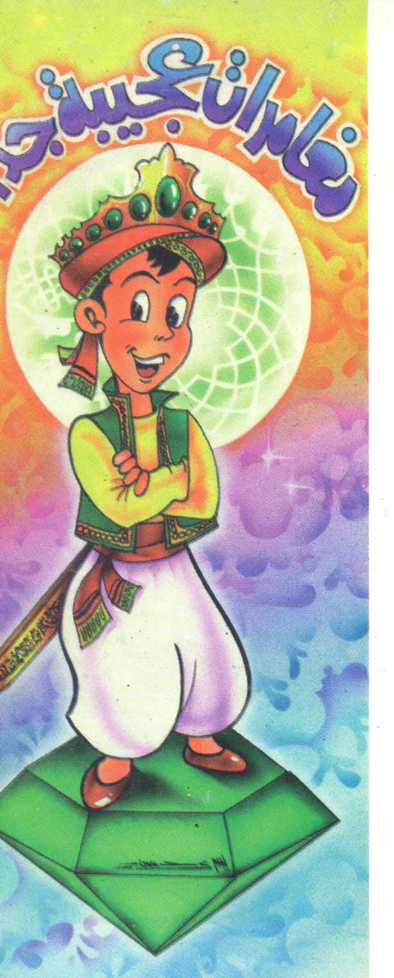

6
مغامرات عجيبة جدا
جوهرة
الصقيع المظلم
تأليف
علاء الدين طعيمة
دار الدعوة



جوهرة

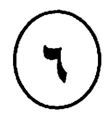
الصقيع المظلم

عندما يتنافس عواء الذئب مع عصف الريح ، عندما تسود شهور الظلام تكون أسطورة الشمال الرهيبة . . المنطقة المتجمدة . الثلاجة العملاقة . . أرض المفارقات المذهلة عليك يا بني بالاحتياط من البرد . . إنه قاتل مميت لمن لم يعتاد عليه .

دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع
المركز الرئيسي : ٢ شارع منشا ـ محرم بك ـ الإسكندرية
ت : ٤٩٠١٩١٤ ـ ٤٩٠٧٩٩٨ ـ فاكس ٥٩٥١٦٩٥
مكتب توزيع القاهرة : ٣٨٣٢٧٤٧

سلسلة

مغامرات عجيبة جداً



جوهرة

الصقيع المظلم

الطبعة الأولي

١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

رقم الإيداع القانونى

١٩٩٦/٥٩٤٥

الترقيم الدولي : 054 -253-977

تحذيـر

لا يجوز تحويل هذه المغامرات إلي عمل سينمائي أو تليفزيوني أو إذاعى أو مسرحى أو شرائط فيديو إلا بالاتفاق والتعاقد مع الناشر.

دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع

٢ش منشا محرم بك الإسكندرية.

ت: ٤٩٠١٩١٤ ـ ٤٩٠٧٩٩٨ .

مكتب توزيع القاهرة: ٣٨٣٢٧٤٧

جوهرة الصقيع المظلم

تأليف: علاء الدين طعيمة

رسوم : يسري حسن .

«٦/ مغامرات مؤمن»

بسم الله الرحمن الرحيم

«مغامرات مؤمن»

قمة الفرح أن يعثر الإنسان علي تاج أثري عتيق خال من الجواهر ولكن تكون هي قمة الإثارة والمتعة عندما تتابع وتقرأ مغامرات ذلك البطل وهو يسعي للعثور علي جواهر هذا التاج ، إنه يسافر في رحلات عجيبة عبر البحار والأنهار فيتعرض للأخطار والأهوال ويري نماذجاً غريبة من البشر وعجائب الأرض والسماء من الإنس والجن والأحياء والأموات وفي كل مغامرة بعد العناء والصراع مع المكان والزمان يفلح في إضافة جوهرة جديدة إلي التاج .

علاء الدين طعيمة

عندمـا يتنافـس عواء الـذئب مع عـصف الريح، عندمـا تسود شهـور الظلام، تكون أسطورة الشـمال الرهيبة . . المنطقة المتجمـدة . . الثلاجة العملاقة . . أرض المفارقـات المذهلة عليك يا بنى بالاحتـياط من البرد . . إنه قاتل مميت لمن لم يعـتاد عليه، بعد قليل ستنـزل فى الخليج الذى لا يمكننا أن نرسو علـيه فى الشـتاء . . لا أدرى كـيف أصـدق هذا الكلام الذى قلته عن الجواهر والتاج ؟! كـيف تخاطر بحياتك من أجل التاج أو جـواهره؟!! إنك لغلام جرئ حـقاً. . على العمـوم لقد اقتربنا. . . بعـد أن تخرج من هذه الغرفـة ستجـد السفينة قـد رُفعت عنهـا هذه الشراع الكبيرة. . واسـتعدت للرسو، هيا جهـز متاعك . .

فلا وقت عندى أكثر مـن دقائق معدودة . . . أنا لا أطيق النظر فى كل هذا الجليد الأبيض.

كانت هذه هى الكلمـات التى سمعهـا مؤمن من قبطان السفينة الشراعية التى استقلها إلى أرض تسمى «ألاسكا» فى قمة العالم الجغرافية. . حيث القطب المتجمد الشمالي. . لقد استدل فى قريته أن الجوهرة السـادسـة توجد فى الجلـيد الأبيض، ولقـد عـانى كثيـراً؛ حتى عرف موقع بلاد الثلج والجـليد والبرد القارص.

رست السفينة ولم ينزل منهـا سوى الغلام المسلم المصـرى مـؤمن، يحـدوه الأمـل فى العـثـور على جوهرته بأسـرع وقت، ويشمله رعب كبـير من هذا الأبيض الذى يصنع رداء مـحكما لا تشـوبه شائـبة لكل شئ أمـامه. . ولحـسن حظه أنه قـد هبط هذه

الأرض فى فـصل الصـيف. . ورغم ذلك ورغم أنه كان يرتدى ثياباً ثقيلة أعدها خصيصاً لذلك؛ إلا أنه شعر بالبرودة تغـزو أطرافه وتتـسلل فى خبث إلى جسمـه، بل وإلى دمه.

ووقف ينظر أمـامـه وكـاد أن يـغـشى عليـه من العجب العجاب وقال يصيح مندهشاً:

ـ يا إلهي. . جبال الجليد. . الجبال تتحرك وتعوم فى ماء البحر كـأنها طوف من الخشب ما هذا ؟! إنه لشئ عجيب أن تكون الجبـال كلها من الجليد. . من الماء المتجمد فقط.

لم يكن يدرى أن فصل الصـيف بشمسه المشـرقة يذيب الجليد بدرجة كبيـرة بعد ظلام الشتاء القارص البرودة، والذى كـان يرخى سدوله شـهوراً طويلة، وبهـذا يأخذ الثلج الذى يغـطى صفـحة الجليـد فى

الذوبان، وتحـدث نتيـجة لـذلك البحـيرات والبـرك الفـسيـحة.. وتظهـر أطواف الجليد المتـجمـدة التى تشققت عن بعضها وأخـذت تتسابق عائمة فى طرق صنعتها الرياح والتيارات المائية.

وقف لا يدرى من أين يبدأ السير؟ وإلى أين يمكنه أن يتـجـه؟ ولكنه وجـد قدمـه تسـبق الأخـرى فى خطوات سريعـة ليتفـادى هذه البرودة بالحـركة التى تشيع بعض الدفء فى جسده .

كاد سيره أن يصبح جـرياً، وعيناه لا تدعان جبال الجليد المتحـركة التى يبلغ طول الواحد منهـا ميلاً أو أكثـر .. ويرتفع فوق سطح البـحر بأكـثر من ألف قدم، ويبلغ حجم الجزء الغاطس منه تحت سطح الماء سبعة أمثال حجمه الظاهر فوقه.

وكان مؤمن فى بداية الأمر يحسب أن هناك مكاناً يمكنه أن يحتـمى فيه من غـرابة الطقس وخطورته. . إلا أنه لم يجـد سـوى الماء. هـنا البـحـر المتـرامى الأطراف، وهذا الماء السائل أو المتجمـد ـ سأل نفسه وهو يهرول لا يدرى أين وجهته؟. . هل هناك حياة فى هذا المكان؟!

ومـر وقت طويل وهو يجـرى باحثـاً عن أى شئ آخر غير الجليد، ولكنه فشل . . كل ما كان يهمه أن يهتدى فى طريقه قبل حلول الليل. . ولقد ظن أنه قد فقد الإحساس بالوقت؛ عنـدما شعر بأن الشمس لم تغب بعد رغم أنه قد قضى وقتاً طويلاً من النهار كان كافياً لغروبها.

أخذ يلهث وتعب من الـلون الأبيض الذى أصبح خانقاً. . وتمنى لو لمحت عـيناه أى شئ بلون مختلف

ولكن البياض طغى علـى ناظريه، وفاض فى عقله، وانسكب على قلبـه وغشى وعيـه.. فلم تكن هناك فسـحة من المقاومـة.. لقد سقط مغـشياً عليـه بعد معاناه شديدة، وعلى كثـيب من الثلج انحدر جسمه كـالكرة، حتى هوى أسـفله لا يدرى من الدنيـا أى شئ.

ولم يدر بعد ذلك إلا أن صيـاداً عجوزاً من أهل المكان قد عـثر عليـه وحمله وأنقـذه من الهلاك إلى قاربه، ومضـى به حتى أتى إلى منزله الذى يقع بين عدة منازل أخـرى مبنية بالأخشـاب والطين؟ وحول المنازل بعض الأكواخ المصنوعـة من الجلد، غير هذه الخيام التى يقضى فيها الإسكيمو أيام الشهور الدافئة فى الصيف.

وبجهد كان يفتح جفنيـه، وهو يتذكر بسرعة آخر

ما كان يعانى منه من صعاب، وتذكر البرد القارص، ولكنه كان يشعر الدفء الحقيقي.. وشعر بأن ناراً تدفئ المكان، وبعد أن ذهبت غمامة عينيه نظر حوله ليجد حلقة داخل حلقات أكبر من الوجوه الملتفة حول فراشه، وهى تتطلع إليه بين الشغف والعجب.

إنهم الإسكيمو.. الجلد نحاسى اللون.. عظام الخدين بارزة بعض الشئ .. الشعر الأسود المستقيم الناعم.. والعيون السود .

وبعد قليل، أدرك مؤمن أنه موجود فى بيت من بيوت الإسكيمو.. وأن صياداً عجوزاً قد عثر عليه أثناء تجواله، وأنقذه من الموت المحقق، وحمله فى قاربه الصغير إلى بيته، وأن خبره قد انتشر فى كل القبيلة لذا فهم جميعاً يلتفون حوله حينما تنادوا بينهم «إن الغريب يتماثل للشفاء».

وبصعوبة بالغة استطاع مؤمن أن يشرح لهم مدى شكره وامتنانه لضيافـتهم له، وكان لا يفارق الغطاء فـترة طويلة حـتى لا يصـاب بالبرودة، ولكن لهـو الأطفال أمام البـيت وحركة الناس دفعتـه رغماً عنه إلى القيام والخروج وأشد ما أدهشه أنه كلما استيقظ من نومه يجـد النهار مسـتقراً ، ولـم يصادف الليل أبداً منذ أن حل بهذه البلاد.

كـانت أسرة الصـياد مكونـة من الصيـاد الكبيـر السن، وزوجته وابنهما «سيناي» الذى كان فى نفس عمـر مؤمـن تقريبـاً، لذا فكان دائماً يجلس إلـيه، ويحاول أن يفـقهه فى لغـتهم،كان مـاهراً فى تعلم اللغة العربية لـ«سيناي»، ورغم ذلك فلقد استطاع أن يتعلم كثيراً من كلمات الإسكيمو وبعض عاداتهم فى الحياة.

ولقد نفـد صبـر مؤمن وبعـد أن كان يسـتحى أن يسأل سيناى عن النهار الطويل الذى يعيشون فيه، لم يصبر أكثر من ذلك وسأله قائلا:

- أرجو ألا تظن بى الجنون يـا سيناى .. أنا لم أر الليل مذ أتيت إلى بلادكم .. فكلمـا احتجت للنوم نمت والشمس تدور فى السماء وأستيقظ فى أى وقت لأجد الشمس كما هى.

ضحك «سيناى» ضحكاً شديداً وقال له:

- بل إنك لمجنون حقاً .. عندمـا كنت تتساءل فى نفـسك من فـترة طويلـة، ثم لا تسأل حـتى تعـرف الحـقيـقة.. يا صـديقى المصري... إن الشـمس لا تغيب عندنا طيلة شهور الصيف.

كاد مؤمن أن يصعق من الدهشة وقال:

ـ لا تغيب الـشمس بالشهـور؟!!... أيعنى هذا أنه لا ليل على الإطلاق؟!!

قال «سيناي»:

ـ نعم يا صـديقي... فـإذا حل فـصل الشـتـاء اختفت الشمس تماماً، وأصـبح الليل هو السيد، فلا وجود للنهار حتى يحل شـهر يونيو من جديد ويبدأ النهار فى السيادة من جديد.

لم يكـن مـؤمن يـصـدق هذا الـكلام، وظن أن سيناى يـسخر منه، ولكـنه تذكر جيـداً أن الليل لم يظهر ظلامه منذ أن جاء لهذه البلاد.

وقال له «سيناى» قاطعاً عليه حبل الأفكار.

ـ من حسن حظك أنك قـد أتيت بلادنا فى فصل الربيع.. هيا لنخرج، دع الكسل ولنتمتع بالحياة.

كانت السعادة تملأ جوانب النفوس، وبدا الناس وكأنهم فى أجازة جميلة.. ولم يكن هناك ليل؛ فالنهار دائم.. والأطفال فى لهو دائم بصيد السمك بالسنانير، أما كلاب الإسكيمو الشهيرة تنعم باغفائة هادئة من الشمس التى حرمت منها طيلة الشتاء.

خرج مؤمن من بيت الصياد يشاهد أزهار هذه المناطق، وأعادته شجيرات القطن المزروعة على حواف البحيرات الضحلة إلى ذكريات حقول القطن ببلده مصر.. ثم أخذ يتجول مع سيناى وهما يتابعان فرحة الناس بالربيع، ولما عادا إلى البيت وجدا العم «مينوي» والد سيناى وهو يستعد للخروج فى رحلة صيد عجول البحر وقال العم مينوى لمؤمن:

ـ عليك بالانتظار فى البيت ريثما أعود أنا وسيناى

من رحلة الصيد.. ولا تبتعد عن المكان كثيراً.

ولكن مؤمن أعرب بنظرة حزينة عن رغبته فى الخروج معهما إلى رحلة الصيد وتناقش مع العم مينوى الذى وافق فى نهاية الأمر على ذلك، وكان الاستعداد للرحلة على قدم وساق.. أما مؤمن فكان يشاركهما الاستعداد ولما تهيأوا للخروج جلسوا يأكلون حتى لا يصابون بالجوع مع بداية الرحلة، وأثناء الطعام قال مؤمن متسائلاً:

ـ هل تعتمدون على الصيد اعتماداً كلياً يا عم مينوي؟

فقال «مينوى» العجوز:

ـ لقد تعود مواطن الاسكيمو يا ولدى على شظف العيش فى البرد والجليد، واعتمد أيضاً على الصيد

وحده كمصدر للرزق وخصوصاً صيد البحر . . إننا لا تكفينا هذه الخضروات البسيطة التى نزرعها فى شهور الصيف . . نحن نصيد عجل البحر فنأكل لحمه ونستخدم زيته فى الوقود والتدفئة.

إن الإسكيمو يتميز دائماً بالخدمة، وسعة الأفق . . لقد تعودنا يا ولدى شظف العيش، وتعلمنا كيف أن الفشل هو الطريق للنجاح.

ولما انتهوا من طعامهم وحديثهم قاموا يحدوهم الأمل فى صيد كبير حتى يدخروه لأيام الشتاء السوداء، والتى يصعب معها أى شئ . . مهما كان.

وخرج مؤمن ومعه سيناى يجهزان الزحافات التى تجرها الكلاب، وأثناء ذلك وجدا رجلاً يدخل الدار على مينوي العجوز ويبدو عليه الغضب، ولما سأل

مؤمن عنه، قال سيناى وقد بدا عليه الضيق:

ـ إنه ساكوم ـ رجل شرير ـ ورغم ذلك فهو أكبر تاجر فى البلاد. . .

فقال مؤمن :

- أرجو ألا أكـون متطفلاً إذا سـألتك عن سبب غضب وجهه، وماذا يريد من أبيك؟

فقال سيناي:

ـ الحق يا مؤمـن . . إن هذا الرجل له دين كبـير عند أبي. . ولكن أبى لا يقـدر على سداد الدين. . وهذا الساكوم يعامل أبى بقسوة كلما حضر إلينا.

ولم يتم سـيناي كلامـه حتى خـرج الرجل وهو يتفوه بكلمات تهديد ووعيد.

وجريا يدخـلان على العم مينوى ليـجداه بملابس الصيد منطرحاً على فراشه، وقد أجهشت زوجته فى البكاء، وعندما كلمـه سيناى وجده فقـد القدرة على الحركة، وقال لابنه بصعوبة بالغة:

ـ إن الساكـوم سوف يبـيع منزلنا وكلابنـا وكل ما لدينا إذا لم نسدد له الدين قبل الصيف القادم . . لقد هددنى يا ولدي. . . ماذا سأفعل؟

ســاد صمـت رهيب عندمـا كان طبـيب القـبـيلة يفحص العم مينوي وقال وقد انفرد بسيناى ومؤمن:

ـ لقد مر العم مـينوى بأزمة أكبر من قدرة جـسمه العجوز عـلى الاحتمال، ولذا فـقد شُلَّت رجلاه . . والعلاج لن يفـيد كثيراً إذا كـان بالدواء فقط، ولكن



قـد يسـتطيع القـيـام والمشى إذا خـرج من همـومـه وأحزانه.

* * *



كان الكل نياماً فى الدار، ومؤمن يأبى النوم. . ها هى الـرحلة لم تـتم، وها هو الـرجل الطيـب الذى أنقذه من الموت يعانى من مرض شديد، ويهدده هذا الجبار المدعو ساكوم بالطرد من الدار ونزع كل ملكياته عنه. أخـذت الأفكار تتـضارب فـى رأسه، وتذكـر والدته صانعة السلال بمصـر، وتذكر أنه قد أتى لهذه البـلاد من أجل جـوهرة التـاج الذى عثـر عليـه فى مـخـزن جده الذى مـات من زمن بـعيـد، وتذكـر مـغامـراته السابقـة من أجل الحـصول على الخـمس جواهر السابقة .

تذكر أن لكل جـوهرة مغامـرة، ثم عاد يفكر فى مـينوى والنهـار الذى لا ينـتـهى والشـمس التى لا تغيب، وشـعر بالرثاء لحال الإسكيـمو، لهذه الحـياة الصعبة التى يحيونها.

وأخـذ يفكر . . كـيف يمكـن أن يسـددهذا العم ميـنوى كل مبلغ الدين للشـرير ساكـوم. . إن المبلغ كبير جداً، فـمن أين سيحصل عليه؟. . وظل هكذا حتى استيقظ سيناى من النوم وجاء إليه يسأله:

ـ مؤمن لماذا لـم تأخذ قسطاً مـن الراحة؟ . . إن كل من فى البيت نائمون.

فقال له مؤمن:

ـ أفكر يا سـيناي. . . أنا حـزين من أجل والدك مـينوى العـجوز. . لابد أن نجـد وسـيلة لسـد هذا الدين، ويبدو أن سيناى أيضاً قـد أجهده التفكير فى هذا الأمر، فلمح مؤمن قطرات من الدمـوع تتساقط من عينيه، وأصابته شفقة على صديقه سيناي، وقال له :

ـ إسمع يا سيناى إنني لا يمكننى أن أقف مكتوف الأيدى تجاه هذا الوضع كما أنني أرى أنه من **الوفاء** أن يكون لى دور معكم لعبور هذه الأزمة لقاء ما أكرمتمونى وجزاء ما أنقذنى والدك من الهلاك .

وبينما يربت على كتفه لمعت فى ذهنه فكرة فقال بسرعة:

ـ سيناي . . هل تذكر يوم حكيت لى عن صيد الحيوان الذى تسمونه الكاريبو؟ . . . لقد قلت لى أن هذا الحيوان غالى الثمن . . ماذا لو اصطدنا منه ما يكفى لسد الدين؟

رغم دموع سيناي إلا أنه ضحك من مقولة مؤمن وقال له:

ـ إنك تمزح يا عزيزي . . حقاً أنت تمزح . . ثم

من سيفـعل ذلك؟ أنا وأنت؟ هذا فى الخيال. . . إن قطيع الكاريبو يحتـاج إلى عشرة رجال على الأقل، ويحتـاج صيـده إلى خبرة طويلـة. . والأصعب من ذلك أن هذا الحـيوان يقطن الأمـاكن التى تبعـد عنا بمئات الكيلو مترات. . ماذا تظن يا صديقي؟

فقال مؤمن:

ـ لا يهم يا صديقى لا يـهم. . سنفعل شيـئاً من أجل مينوى العـجوز . . تصور وتخـيل لو تمكنا من صيد قطيع كامل . . فكم ستكون الفائدة عظيمة؟

نظر سيناى لمؤمن، وقال يُؤمِّن على كلامه:

ـ وأى فـائدة يا صـديقي. . إن الكاريبـو يعـتبـر مخـزن التموين المتحـرك. . فمن وبره نصنع الأردية والأشولة والأحـذية والأغطية، كما نتـخذ من جلده

المشط مقاود للكلاب، وخياماً وجرادل وقوارب الصيد ؟ نصنعها كلها من جلد الكاريبو . . . أتعرف أيضاً أننا نصنع من عضلات لحمه الكرابيج والخيوط والحبال التى نربط بها الحراب؟ ومن عظامه وقرونه المتشعبة نصنع السكاكين والخناجر والسهام والإبر؟ ومن نخاع عظمه نتخذ الذهن والوقود؟ وفوق ذلك فإننا لا نترك أى شئ فى جسم الكاريبو دون أن نأكله . . بدءاً من العينين حتى الحشائش التى يتم هضمها فى معدته والتى نصنع منها سلاطة التندرا .

ابتسم مؤمن لكلام سيناى وقال له :

ـ إذن . . لابد أن الواحد منها يباع غالى الثمن . . إذن علينا أن نخرج لصيد هذا الحيوان . . هذا أبسط ما نفعله مع العم مينوي .

فنظر سيناى حائراً نحو فراش أبيه وقال:

إنه ضرب من الخيال يا مؤمن .. أن يخرج غلامان لصيد قطيع من الكاريبو..! والدى رغم كبر سنه لم يخرج لصيد الكاريبو إلا مرات معدودة، وضمن عدد كبير من الرجال.. حقاً إننا لو حصلنا على القطيع لتغير حالنا تماماً، ولأسكتنا هذا الساكوم المزعج.. أنت شاب تتميز بحماسة شديدة وهذا ما يخيفنى .

ظل مؤمن على حاله يحاول إقناع سيناى بفكرته،وكان الآخر يرفض، وذات مرة بينما هما فى نقاشهما، إذا بالعم مينوى ينادى على سيناى وقد سمع حوارهما فقال له:

ـ سيناى يا بنى ... لقد سمعت حديث الشاب

مؤمن... إنــه غلام صالح قــوي.. وأنا سيــأكلنى الحزن من أفــعال ساكوم الــلعين.. يا بني.. اسمع كــلام صــديقك واخــرجــا فى أثر الكاريبــو.. هذا أمل.. مــجــرد أمل.. والفــائدة من ذلك ســتكون كــبــيــرة... إذا لم تفلحــا فــى ذلك فــعلى الأقل ستتــعلمان من هذه الرحلة أشيــاء عظيمة وتكتــسبان خبــرة كبيرة.. اخــرج يا بنى ولا تخف عليّ.. أنا فى رعاية الــله، ثم فى رعاية أمك حتــى تعود بإذن الله.

ابتسم مؤمن من كلام العم مينوى وقال له:

لقــد ذكّرنى كــلامك هذا ببلدى وديني... لقــد تعلمت ألا أقول ـ مثــلاً ـ أنت فى رعاية الله وأمك ولكن أقول فى رعــاية الله ثم أمك .. لأن مشيــئة

الله وقدرته تعم كل الخلائق وتسبب كل الأسباب.

فقال له مينوى العجوز:

ـ أنت غـلام طيب يـا مـؤمن .. وأنا لا أخـاف عليك ولا على سيناي.. فالله معكما لأنكما تصنعان خيراً.

تجهز مؤمن وسيناى فترة طويلة من الوقت، فأخذا يعدان العـدة للخروج فى هذه الرحلة، وجلسا كـثيراً إلى مينوى الذى كـان يكلمهما عن عـادات الكاريبو وأماكن تواجده وكيفـية الصيد.. وبدا الأمر فى أوله مستحيل الحدوث.

فلقد اسـتمـر التجهـيز والإعداد للـرحلة حتى إذا اقترب فصل الشتاء أتما إعداد القارب الخفيف من جلد الكاريبو المشدود، وأعدا حراباً كثيرة وسهاماً وحبالاً،

واستطاعا أن يوفرا عدداً لا بأس به من الكلاب الأصيلة من نوع«الهسيكي».

ثم خرجا فركبا القارب يجوبان البحر الكبير لعدة أيام وكان عليهما الاستعداد للاستغناء عن القارب مع قرب حلول الشتاء حيث أن البحر سوف يتجمد فى الشتاء، ومما يجعل أمر الرحلة بالقارب مستحيلاً.

وأثناء الرحلة حدث ما توقعاه، **فلقد بدأت تظهر رقعٌ كبيرة من الجليد تطفو على صفحة الماء، مما أصبح يعوق حركة القارب ولقد نفد ما كان لديهما من طعام، وأصابهما الجوع الشديد، كما حدث ذلك أيضاً للكلاب التى كانت ترافقهم الرحلة.** فقال سيناى لمؤمن:

علينا أن نستغنــى من الآن عن هذا القارب. . هيا فلنعد الزحافة ونربطها بالكلاب.

ولكن مؤمن اعترض قائلاً:

ـ قبـل ذلك. . لابد أن نفكر فى طعام لنا، ولـهذه الكلاب. . ؟

فقال سيناي:

ـ مـؤمن . . إننا فى أوائل شـهر نوفـمبـر. . إن الخلجان والأنهار يتجمد سطحها، وها هو الثلج قد بدأ يظهـر فوق مـاء البحـر الكبـير، لا تقلق بشـأن الطعـام . . فقط جهـز حربتك وعندمـا سنأتى إلى سطح كبيـر من الثلج سنهبط لنطلق للكلاب العنان؛ فهى ستدلنا على مكان عجول البحر.

وبالفعل هبطوا جميعاً من القارب، وأمسك مؤمن

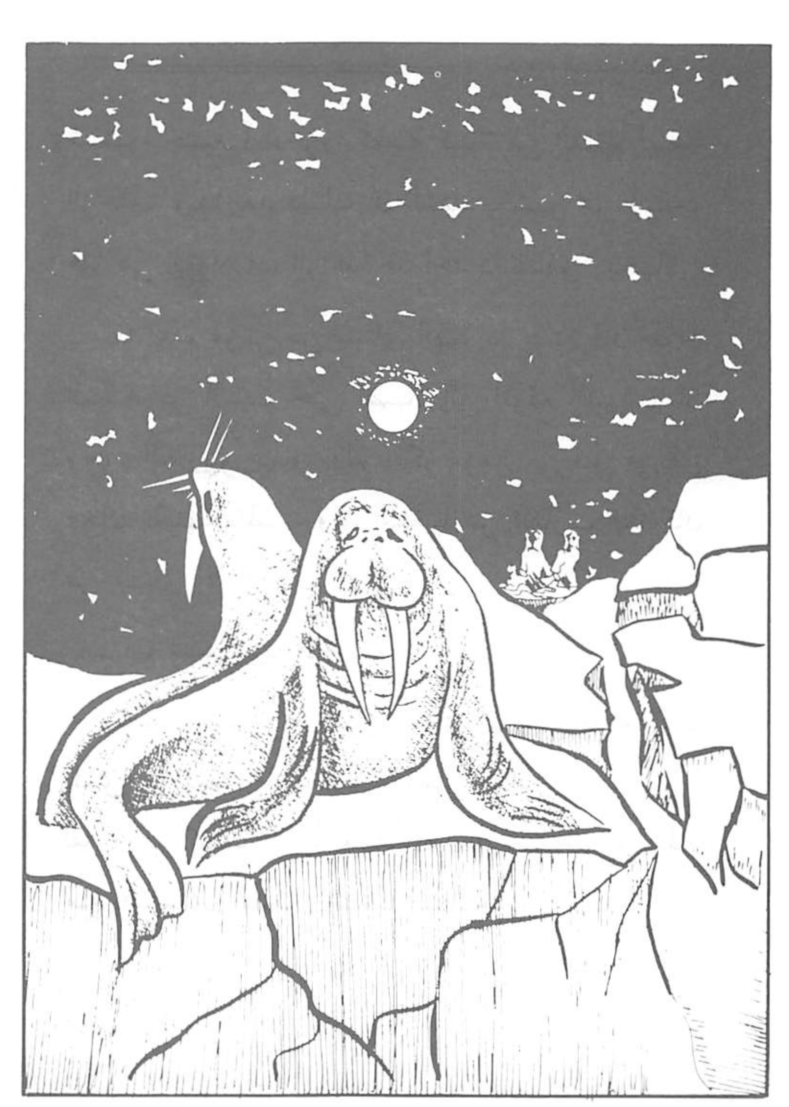
وسيناى كل منهما بحربة ذات سن حاد ومربوطة من وسطها بحبل طويل ملفوف على الذراع، وانطلقت الكلاب الجائعة تجرى فوق مسطحات الجليد تبحث بأنفها عن شئ تعرفه حق المعرفة . .

. إن عجول البحر تنشئ فى الجليد ثقوباً ؛ لتتنفس منها وهى بداخل الماء القابع تحت سطح الجليد، ولقد سمع سيناى ومؤمن نباح أحد الكلاب فعرفا أنهما قد عثرا على ثقب منها، فأتياه ليجدا عدة ثقوب يتخذها عجل البحر ليتنفس منها وهو تحت الماء، فمسك كل واحد منهما حربتة، وانتظر أن يصعد أحد العجول للتنفس منها وهو تحت الماء .
وكان مؤمن مستعداً متحفزاً، ورغم أنها أول مرة يصيد فيها ذلك النوع من الصيد إلا أنه لم يدخر هذه الفرصة عندما لمح شارب العجل وأنفه تمتد من

الماء إلى أعلى فرفع الحـربة بسرعة، ثم قذفـها نحوه فرشقت فى جسده، وجذبها العجل سابحاً بها تحت الماء، ونظر سيناى إلى مؤمن ليـجد أن الحبل ينطلق من يده ويجره العجل المصاب فابتسم وقال:

ـ انتظر قليلاً. حتى تخـور قواه تحت الماء وسآتى إليك لنجذبه سوياً أيها الصياد الماهر.

وأخذ سيناى يكسر قطع الثلج حول الثقب بالبلطة حتى يصنع فـتحة تتسع لخـروج العجل من الماء، ثم أخـذ يجـذب الحبل مع مـؤمن، والكلاب ملـتفـة حولهما، حتى استطاعـا أن يجذبا عجل البحر الذى كان سمـيناً كبير الحجم، فكانـت الكلاب تهز ذيلها طرباً عندمـا أخـذ مؤمن وسـيناى يقطعـان العـجل بالسكاكين، ويلقيان إليهم بما يسـد جوعهم، وبعدما



شبعـوا جميعـاً ادخروا كميـة كبيرة من اللحم لبـقية الرحلة. وبدا بعد ذلـك أن الشتاء يكشـر عن أنيابه، فها هى العواصف الراعدة قد أخذت تصفق ريحها.

لقد علم مؤمن من سيناى أنهما قد يستغرقان طوال الشتـاء فى السيـر حتى يصـلا إلى الموقع الذى يظنان وجود الكاريبو عنده. ولم يفكر مؤمن من قبل فى أى مكان يمكنهما المبيت وقد استغنيا عن القارب فما كان من سيناى إلا أن قال له :

ـ هيا سنبنى بيتاً الآن.

وتعجب مـؤمن، ولكن سيناى لم يكن لديه وقت للشرح، فلقد أخذ يعـمل، وعلى مؤمن أن يساعده. لقد اختبر كثيبـاً ثلجياً عميقاً، وأخذ يشق ألواح الثلج منه باستعمال السكين شقوقاً منتظمة، وقد استطاع أن

ينحت من الثلج اثنى عشر لوحاً ثلجياً كالحجارة، وأخذ يعاونه مؤمن فى صنعها على شكل دائرة منخفضة الارتفاع عن سطح الأرض وتميل حوائطها بقوة للداخل ، وكان يمنعها من السقوط حشو الثلج فى الثنايا بين الألواح. . وهكذا فلقد أتما صنع المسكن وتعجب مؤمن من أنه سيبيت داخل ثلاجة صغيرة، ولكنه لما دخلها هو وسيناي، وأشعلا دهناً من دهن عجل البحر استطاعا أن يحيلا البرد إلى دفء جميل، وكانت أمسيتهما جميلة، وهما يتدثران بجلد الكاريبو. . وبدا بعض الضيق على مؤمن فقال لسيناي:

ـ ليس من الرحمة ولا العدل أن ننعم بالدفء ونترك الكلاب هكذا فى العراء.

فابتسم سيناى وقال :

لقد خلق الله هذه الكلاب، ووهبـها القدرة على معايشة الطبيعة . . اعلم يا مؤمن أن كلاب الهسكى تنام فى العـراء، ولو بلغت الحرارة حـد التجـمد. . إنها ترقـد دافئة جسمهـا فى الثلج الذى يكون عازلاً لها ضد البرد . . ولكن دعك من هذا الأمر وقل لى حكايتك معنا . . لقد احـترت فى أمرك. . ما بالك تهتم بأمر أسـرتنا إلى هذا الحد . . رغم أنك غريب عنا، ولن يغـضب أحد منك إذا قررت الـرحيل فى أى وقت شئت؟ فابتسم مؤمن وقال له:

ـ أنا أدين بالإسلام. . . إنه دين الوفاء. .

فتعجب سيناى من هذا الكلام وقال له:

ولكن. . ما الذى دفعك لذلك؟

قال له مؤمن:

- كرم العم مـينوى معي.. لقد لقـيت فى بيتكم كرماً ذكرنى بمعنى قـول رسول الله «ﷺ» عندما قال «مـا من يوم يصبح العـبـاد فيـه إلا ملكان ينزلان، فيـقول أحـدهما: اللهم أعط منفـقاً خلفـاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً» فأردت أن أكون سبباً فى هذا الخلف الذى سيعطيـه الله لأبيك بعدما أنفق عليّ أثناء ضيافته لي.

ابتسم سيناي وقال:

- والله إن كـلام رسـولكم لطيب.. ولو اتبـعـه الناس لارتاحوا وزاد الفضل وعمّ الخـير والسلام في الأرض.

وأحب سيناى أن يغـير مـسار الحديث إلى غـيره

فقال:

ولكن قل لي . . . من أين أتيت بمهارة استخدام الحربة والسهم؟ لقد أعجزتنى أثناء لهونا بالسهام عند البيت.

فابتسم مؤمن وقال:

لقد علمنى أبى كيف أرمى بالسهام والحراب. . قال رسول الله ـ ﷺ ـ « من أحسن الرمى ثم تركه، فقد ترك نعمة من النعم» وقال أيضاً « ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي» .

نظر سيناى نظرة دهشة وقال:

ـ ما هذا . . . أكل كبيرة وصغيرة فى حياتك تكلمنى بها يكون للرسول قولٌ فيها . . ألم يترك هذا الرجل مكاناً فارغاً؟!!!

فابتسم مؤمن وقال :

يا صديقى سيناى . . إن الإسلام دين الله الحقيقى. وعلى الإنسان أن يحفظ ويفهم كل ما جاء به الرسول ويتدبره ويعمل به؛ لأن فى ذلك النجاة من التخبط والضياع . .

ساد بينهما صمت، وبدا أن سيناى يتدبر كلمات مؤمن ، ولكنه كالذي يفر من مواجهة الكلمات فقال لمؤمن:

- أنا قلق على الكلاب وأخشى أن يصيبها مكروه.

ـ قال مؤمن بعد ما نظر خارج المسكن:

ـ سيناي . . . لقد اختفت الكلاب . . أنا لا أجد لها أثراً.

ولكن سيناى ضحك بشدة وقال له:

ـ مصمص بشفتيك . . وستسمع الكلاب ترد عليك بنباحها .

ولدهشة مؤمن أن الكلاب قدنبحت من خارج القبة وردت على مصمصة سيناى . فقال سيناى بثقة:

ـ وهناك الكثير يا صديقى . . . . هذه أعجوبة قطبية عندما تنخفض درجة الحرارة يتصاعد من جسم الكلب بخارٌ يبلغ من كثافته حداً يحجب رؤيته تماماً.

فقال مؤمن :

ـ آه . . . . هذا نتيجة ملامسة الهواء البارد لسطح جسم الكلب الدافيء .

وبعد ذلك قضيا أمسـية يتحدثان ، ثم ناما يغطان من شدة الإرهاق الذى أضناهما طيلة اليوم، ثم قاما يجهـزان الزحافـة ، وربط سيناى الـكلاب فيهـا ثم جلس عليها هو ومؤمن ومعهما التجهيزات اللازمة، وانطلقا فى طريق كان سيناى يعرفه معرفة جيدة.

* * *

من بعيد كان يُرى صفاً طولياً من الكلاب، وكأنها تتسابق فى إخلاص واستماتة لإرضاء صاحبها الجالس على زحافته . . . الجـو عاصف رهيب البرودة . . . كل شيء كالموت . . الموت يـتساقط من كل جـهة ، عـدا هذه القلوب التى تتناثر هنا أو هناك تبـحث عن لقمة تحيا بهـا، وتسد بها رمق الجوعى من الأولاد ، هؤلاء هم الصيـادون من الإسكيمو . . ومـثلهم كان سيناى ومؤمن يشقان بالزحافـة عنان العاصفة ينطلقان صوب صـيد كبـير. . . . يتطلعـان أن يسدا به الدين الذى فى رقبة العم مينوى والد سيناي.

وفجأة جذب سيناى لجـام الكلاب لتقف الزحافة، ونثر الثلج الذى تراكم على ملابسه وغطاء رأسه وقال لمؤمن :

ـ مؤمن.... يبـدو أننا قد ضللنا الطريق.... أنا لا أعرف فى أي اتجاه يمكننى السير .

كانت هذه الكلمات شبـه قاتلة... إنها صحراء الجليد المرعـبة .. ولكن مـؤمن أراد أن يخفف من حدة الموقف فقال:

ـ سيناى ... يـبدو أنك قد شـردت كثـيراً أثناء قيادتك الزحافة، ولابد أنك مـرهق .. هيا نستريح فى هذا المكان .. ونطعم كـلابنا وبعد ذلك نـحاول معرفة مكاننا الآن .

فقال سيناى وهو يغالب حيرته :

ـ يا صـديقى .... إن الشـتـاء يهجم هـجومـاً سريعاً وإذا ضللنا الطريق سيصعب علينا العثور على القطيع أيضاً. يا مـؤمن.. إنك إن تضل الطريق فى

الجليد فـإنك تعرض نفـسك لأخطار عظيمـة، فكل مكان هنا خـطر. . . فـإذا لم تعـرف المـكان. . . فلن تعرف أخطاره.

وقبل أن يتم سيناى كلامه أحسا بزمجرة جماعية من الكلاب، فجـرى سيناى نحـوهم ثم حلهم من وثاقهم؛ فسأله مؤمن عن السبب فقال له:

ـ لأن يكون الكـلب طليـقـاً فـى هذه الظروف أفضل من تقييده. . .فهو سيدافع عنا. .أننى قلق..

ولما همـا بـالبـحث عن كـثـيـب من الثلج، إذا بالكلاب تزداد زمجرتها وهى تنظر فى اتجاه واحد.

ولم يكن غــيــر الدب القطبى « نـانوك » هكذا يسميه الإسكيمو. . .لقـد اعتبر هذا الدب أن سيناى ومؤمن وكـلابهما فـريسة لايستـهان بها، لقـد تتبع

فريسته بمهارة فائقة. . . إنه لا نهاية لصبره عندما ينتوى الصيد، لقد كان يسير نحوهما بوصة بوصة، ثم يريح جسمه الثقيل الأبيض على الجليد. . . ولم ينسى أن له أنفاً أسود قد يفضح أمره فهو دائماً يغطيه بكف يده؛ ليصبح من العسير تمييزه من الجليد الأبيض.

ولم يكن يخفى ذلك على سيناى عندما قال لمؤمن:

ـ لا يملأ قلب هذه الكلاب غيظاً بهذه الطريقة سوي. . . النانوك. . . الدب الخطير. . استعد يا مؤمن.

وفجأة انطلقت الكلاب مجنونة نحو كومة من الثلج لم تكن سوى الدب ولكن الكلاب أيضاً

تعرف كيف تتعامل معه، ذلك لأن اقتراب الكلب من الدب تكلفه حياته. . . ولـذا فإن الكلاب قد هاجمت الدب الضـخم من مؤخـرته فجـعلته يتـخذ مـوقف المدافع، أمـا سيـناى ومؤمن فلـقد أخـرجـا السهـام والأقـواس وأمطراه بوابل من القـذائف حـتى أنهكاه بالجراح؛ فـسقط مـتأثراً بها. . . ولم يفـرق بينه وبين عـجل البحـر فى المعاملة سـوى أن له فراء فـرح به سيـناى ووعد أن يهـبه لمؤمن بعـد أن يجهـزه كرداء له. ولاحظ مؤمن أن سيناى لم يعد حزيناً لفقد الاتجاه فسأله:

-أراك لا تلقى بالاً بمسألة ضل الطريق.

فقال سيناى وهو يبتسم:

صـديقى مؤمن. . . الدب « نانوك » دائمـاً يتخـذ

النور قبلتــه. . ونحن الآن فى الخريف لذا فهو يتــجه إلــى الجنــوب. . . وهذا يــعنــى أنــنا فــى طريــقنــا الصــحــيح، ولم نضل الطريق. . . ولولا ظهــور هذا الدب لكنا سنضل الطريق حقاً.

وهكذا اســتــمــرت الرحلة بين صــعاب ومــشــاق وعواصف رعدية رهيبة، وكان مؤمن رغم كل هذا لا ينسى بلده وأمه والهدف الذى يسعى إليه.

وتوالت الأيام حتى كــان الظلام الدامس لمدة أربع وعشرين ساعة، ولم يكن يهــديهما فى الطريق سوى النجوم التى تُرصع صدر السماء والقمر. . . ولقد كان البرد فظيعاً ودرجة الحرارة تنخفض لأكثر من «تسعين درجة » تحت الصفــر،فكانت البلطة لابد أن تدفأ قبل استعمالها؛ وإلا تحطمت إلى شظايا كأنها مصنوعة من

الزجاج.

وفي مكان ما ألقى سـيناى عصا الترحـال وقال لمؤمن:

كفانا سيراً يا صديقي... سنجعل من هذه المنطقة مـركـزاً لنا... نتـحرك فى أى اتجـاه لاسـتكشـاف الكاريبـو، ثم نعود إلى هذا المكان.. وبالفـعل رغم البرد والـعواصف التى لا تهـدأ والأصوات الغـريبة وصـفيـر الرياح استطاعـا أن يبنيـا بيتـاً من الثلج، وحولاه إلى مركز لهمـا، وفى كل يوم كانا يخرجان لمسافات لـيست طويلة لتتبع أثر الكاريبـو، حتى أتى يوم فيه نبحت الكلاب نباحاً شديداً، فأيقظت سيناى ومـؤمن من النوم وقـد شعـرا بالظفـر... وكـانت الشمس فى هذه الآونة تظهـر لساعات قليلة فى أول



النهـار وتختـفي بسرعـة؛ فلقد اقـترب الربيع مـرة أخري.

وخرج مؤمن وسيناى فأخذا يُسكتان الكلاب، ثم سارا حثيثاً يطلبان الكاريبو حتى أتيا إلى مكان فسيح ووقفا ينظران لقطيع يـربو على الألف حيوان، تقف فى أمـان لاتدرى من أمر صـيدها شـيئـاً. . . فقـال سيناي:

ـ مـؤمن. . . لقـد ذاكـرت مـا سـتنـوى عـمله جـيـداً. . . أليـس كـذلك؟ لا تـقلق بشـأن الكلاب. . . إنها تعرف ما سوف تؤديه. . . فما علينا الآن سـوى تحـديد قـائد القطيـع. . . فلو عـرفناه، وتحكمنا فيـه. . . سنضمن أن يتبـعنا كل القطيع بعد ذلك.

وقفا من بعيد يتـابعان حركة الجزر والمد فى شكل القطيع؛ حتى يعرفا القائـد الذى يتبعه القطيع، وكان واضحاً أن هناك جماعة من الكاريبو تحوى واحداً له قرون عظيمـة متشابكة، وأينمـا تحرك تحركوا ناحـيته وبدا أنه القائد فقال سيناى مشيراً إليه:

ـ اسـمع يا مؤمن. . . أترى هذين الجـبلين. . . إن بينهـما ممراً ضيـقاً. . . سنعـمل على أن يمر القطيع منه، وسأفـعل أنا ذلك بواسطة الكلاب. . . أما أنت فـستقف فـى الناحـية الأخـرى من الممـر ومـعك الأنشـوطة « الحـبل » فإذا بـرز اليك القطيع فـعليك بالقائد، وتأكد أن المهمة ستـكون مستحيلة بعد ذلك إذا لم تنجح فى إلقاء الحبل على قرونه.

لم تكن هناك فرصة تضيع هباءاً. . . فها هو مؤمن

يتخذ مـوقعه على الجبل فوق منفذ الممـر بحيث كان مرتفعاً عنه ومعه الأنشوطة مجهزة. . .وكانت مهمته صـعبـة. . .غـاية فى الصـعوبة. . . لقـدكـان المنظر عـجيـبـاً عندمـا صنعت الكلاب نصف دائرة تحـيط بالقطيع من الخلف وسيناي يحمل كرباجاً يطرقعه فى الهـواء، فـأثار بكلابه القـطيع الذي أصـابه الفـزع، فانطلق لا يـجد طريقاً للفـرار سوي الممـر، ومؤمن ينظر فلم تدع عيناه هذا القائد. . .حتى اندفع القطيع بقوة كادت تمزق الجـبلين من الجليد. . .فطوح مؤمن أنشوطته فى الهـواء، ثم رماها فوق القرون المتشـعبة للقـائد المندفع، ثم جذبـها لتـشتـبك برأسه، وكـان اندفاع الحيـوان كفيلاً بإسقـاط مؤمن من مكانه على الجـبل، فـوقع وانفلت الحـبل من يده وانطلق قـائد القطيع يجر الحـبل وراءه، ووراءه باقى القطيع، ولم

يكن يتـصـور مـؤمن أن كلب الهكسى وهو أفـضل الكلاب يدرك مـا يحدث عنـدما انطلق وراء القـائد حتى إذا لحق به قـبض بفكيه على الحـبل، ثم جذبه فى الاتجـــاه العكســى مما ابطأ من تـقـــدم القـطيع كله. . فلم يدع مـؤمن الفرصـة، فهرع نحـو الكلب فأخـذ منه الحبل، وأخذ يقـاوم تقدم الكاريبـو حتى وافاه سـيناى فأخذا يجذبانـه حتى هدأ، وبدأ القطيع كله بعد ذلك كالحـملان الوديعة **ولم يبق سـوى هذا العناق الحـار بين مؤمن وسينـاى تهنئة حارة بـنجاح الصـيد. . .وشـاركتـهـما الكلاب ذلك بهـز الذيول والنباح المرح.**

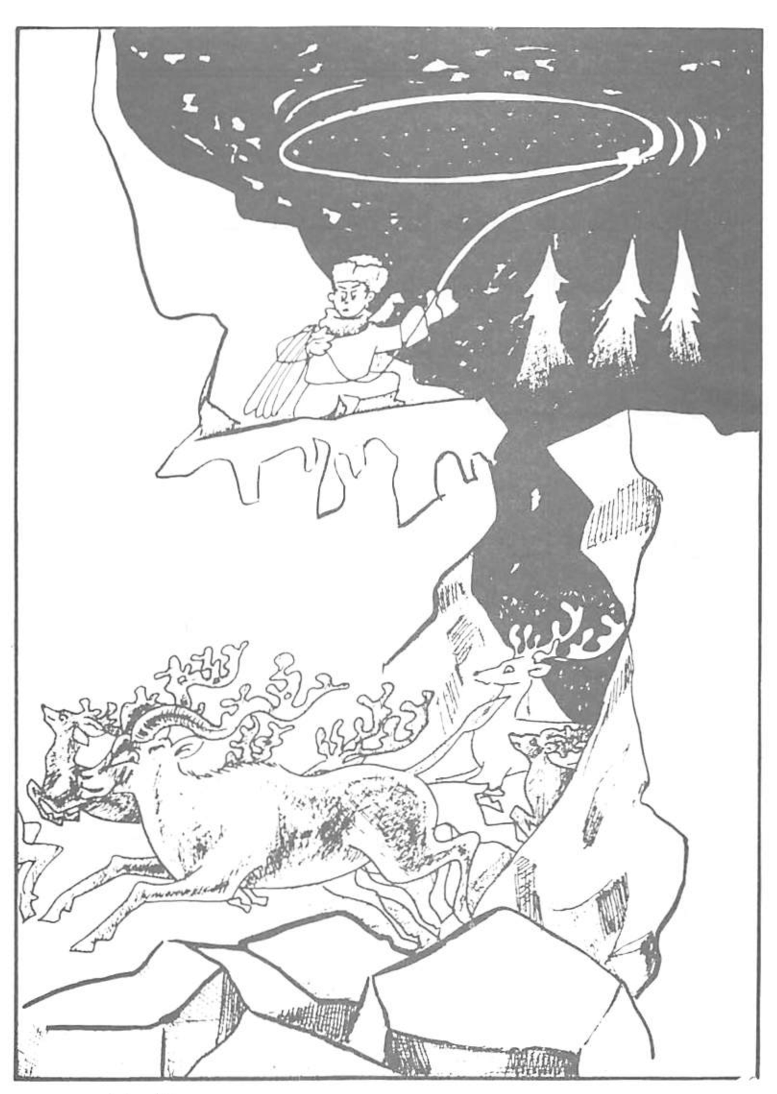
وهكذا تم لهمـا الجزء الأكبـرمن المهمـة، وأصبح همهما الوصـول إلى بلدهما بكل القطيع، ولكن هل هذه مهـمة سـهلة وسط هذا الظلام الدامس الذى لا

يبدده سوى أشعة غريبة لا يعرف مصدرها من آن لآخر كضوء البرق مع ما تجود به النجوم ويعطف به القمر؟وقال سيناي لمؤمن:

ـ يجب أن نصل بهذا القطيع إلى بلدنا قبل اقتراب الربيع وإلا ذابت الثلوج وتعرضنا لأخطار الغرق والموت. . .علينا أن نختصر المسافة. . .هناك حل واحد. .ولكنه يبدو مستحيلاً.

فسكت مؤمن منتظرا أن يكمل سيناى كلامه فقال:

ـ لو قطعنا نفس خط الذهاب لاستغرقنا وقتاً طويلاً يعرضنا للخطر. . .لذا علينا اختيار طريق آخر، وأنا لا أعرف غير طريق واحد. . .ولكنه عبارة عن طرق وعرة وخطرة. . .وإن كانت قصيرة بالمقارنة



بالطرق الأخري.

لم تستمر المناقشة وقتاً طويلاً، فلم يكن هناك مجال للتفكير والتشاور، بل لابد من اتخاذ القرار الحاسم وخصوصاً فى الأحوال الصعبة التى كانا يمران بها بالإضافة لهذا القطيع الضخم من حيوان الكاريبو.

وهكذا كان المنظر بديعاً. اثنان من رعاة البقر فى سن الصبا يدوران كالنحل حول القطيع الذى يتقدم مدفوعاً بالكلاب التى كانت فى الحقيقة هى الحارس الوحيد والقائد الشديد.. وكان المرور بين الجبال تحت هذه العواصف مدعاة للمواساة.. فها هى عاصفة هوجاء رهيبة اشتدت؛ حتى تبعثر القطيع وفر منه الكثير، وبذل مؤمن وسيناى جهداً كبيراً فى

الحفـاظ على ما تبقي،وإن كـانت الكلاب قد طاردت الماشية التى فـرت فأعادت منها الكثيـر بمهارة منقطعة النظير.

ولقد أصيب سيناى من جـراء هذه العاصفة بالتواء فى كـاحله مما زاد الطين بله، وأصبح على مـؤمن أن يقود هذه الجمـوع وحده أما سيناي فـأصبح لايغادر زحافته إطلاقاً.

ومن ناحية أخرى كان الساكوم قد زار العم مينوى عدة مرات متتـالية، وهدده تهديداً واضحاً بالطرد من المكان ومـصـادرة الممـتلكات، ولم يكن بيـد العم مـينوى سوى الدعـاء لسـيناى ومؤمـن بالتوفـيق فى مهمتهما الحرجة،والعودة سالمين غانمين.

ورغم كل الصعاب إلا أن مـؤمن لم يكن يتوقع أن

عليه تسلق هضبة عظيمة لا يكن السير فيها إلا على شــــريط لا يســع مــــرور رجلين علـيـــه في وقت واحد. . فلقد توقف أمام الهضبة وراح يكلم سيناي:

- سـيناي. . . ألم تكن تعلم أن هذه الهـضبــة لا يمكن اجتيازها بأى حال من الأحوال؟

فقال سيناى وقد أصبح محموماً بتأثير الإصابة:

- عزيزى مؤمن. . . لا بد من السير مسافة شهر أو يزيد حتى ندور حــول هذه الهضبة؛ إنهــا عظيمة الاتساع إنك إذا مررت بنا فوق جــسر الموت فسوف نختصر الزمن مدة شهر كامل.

وقف مـؤمن حــائراً. . . إن الهـضــبــةعظيــمــة الارتفاع، والجــسر طريق ضــيق جداً يدور حــولها لأعلي. . . نظر إليــه فــأدرك أن الســقوط من فــوق

الجسر لا يعنى إلا الموت المحقق.

وكان إقناع الكاريبو القائد بالصعود أمراً شاقاً. .إلا أن مؤمن قد نجح فى ذلك فأصبح هناك طابور يسير فى هدوء وتؤدة. . .سيناى يقود القطيع فى المقدمة ويجر زحافته كلب قوى ومؤمن فى المؤخرة لا يرى المقدمة من فرط طول طابور الماشية. .ولم يكن ذلك كافياً لمنع إحدى إناث الكاريبو من الإنزلاق والسقوط من الارتفاع الرهيب..أو أن تنهار كرة من الجليد من أعلى الهضبة فتأخذ فى طريقها ثلاثة أو أربعة حيوانات، لتهوى بهم من عَلٍ إلى الموت.

وكانت الأنفاس محبوسة حتى أن الحيوانات قد أدركت مدى الخطر بالمشوار الطويل.

فها هى تلصق أجسامها بجسم الهضبة وتدور

معهـا ببطء شديد. . .وكلما سقط واحـد منها تقدم الخلفى ليأخذ مكانه دون أن ينظر لأسفل. . . .ورغم كل هذا إلا أن سيناى قـد عـبر حـاجـز الخطر، وأشرف على أرض واسـعة، وسحب وراءه مقـدمة القطـيع الذى بدا علـيـه الإرهـاق العـصـبى الشـديد. . .فأخـذ يتقـدم بحذر حـتى وافى قمـة الهضـبة، والتـحق بباقى القطيع، وكـانت هذه هى العقبة الكؤود فى رحلتها الشاقة.

وبعد قليل من السير انتخبـا مكانا فأقاما معسكراً للراحة وللاستعداد لبقية الرحلة.

ولقد أنشأ مؤمن صومعة ثلجـية بسرعة خبير، . ثم أسرع فسـحب أحد الحيوانات إلى مكـان بعيد، وأعـمل فـيـه السـيف فنحـره ثم قطعـه إلى

أجـزاء. . . ففـرحت الكلاب بـوجبـة دسـمـة غيـر متوقعة. . . وحاول مؤمن أن يدخل البهجة على قلب سيناى الذى كـان يتألم من الإصـابة فأخـذ يشوى له اللحم مماجـعل الصومـعة شـديدة الدفء. . . ولكن سـينای کـان يتـألم ألمـاً شـديداً وقـد تورمت قـدمـه. . . فكـان كـثيـراً مـا يذهـب فى سـبـات عـميق. . . ولقـد حـاول مؤمن بـعد تمام الراحـة أن يحـصل منه على شـفـرة الـطريق أو الاتجـاه الصحـيح. . . إلا أن سيناى قـد بدا أنه سيء الحال، وأنه يحـتـاج لراحة وعـلاج فـلا قـدرة لديه على الكلام، ولاوعى لديه لحسم الأمور إطلاقاً.

***



خرج مؤمن من الصومعة ووقف حائراً يفكر في أي اتجـاه يمكنه السيـر؟...إنه لا يعـرف المكان ولا دلائله...وفجأة زمجرت الكلاب ونظر مؤمن ليرى شبح صيـاد يأتى من بعيد، فجد فى السـير نحوه وقد فرح لذلك فرحاً شديداً.

ورفض الصياد دخول الصومعة بعد أن وقف ينظر إلى القطيع... وكـان يبـدو على هيـئـته السـفـر الطويل، ولكن مؤمـن لم يطمئن لملامحـه...فلقد كان للرجل غـرض قد أتى من أجله ففاجـأ مؤمن قائلاً:

ـ اسمع يا بني...مـاذا فى الذى يعطيك جوهرة ثمـينة ...لا تبـاع بثـمن...نظيـر أن تهـبنى هذا القطيع...وأنت في ظروف طعـبـة وهذا صاحـبك

سيموت فى صومعته... ولن تعرف طريقك وستضل، وسيغرق القطيع منك فى الربيع الذى اقترب ،أو سيخرج عليك قطاع الطرق، سيذبحونك قبل أن يذبحوا واحداً من الكاريبو.

دهش مؤمن دهشة كبيرة... كيف عرف الرجل أنه قد أتى من أجل جوهرة... وكيف عرف بمرض سيناي، وكيف عرف أنه لايهتدى للطريق، ولكن الرجل عاد يزيد من حيرته فقال:

- جوهرة ثمينة... أنا قد أتيت من عند العم مينوي؛ لأبحث عنكما... إنه أرسلنى إليكما حتى تعودا بلا مشاق ولا متاعب... فهو قد سدد دينه للساكوم... ها. قرر... وبسرعة.

بالرغم من الجو البارد إلا أن الدماء قد غلت فى

رأس مـؤمن، وهو لايكاد يصـدق الحـوادث، فهـا هوأمام مصيبة أخري.

وفكر بسـرعـة، فإذا كـلام الصـيـاد مـتضـارب متناقض..وساوره الشك والريبة فيه فقال له بحزم:

- أنا أرفض مساومـتك أيها الرجل...ولابد أن أكون وفياً.

فقـال له الرجل وقد أخـرج من سـترته جوهرة فائقة الجمال:

-ستندم... سـتندم...ها هى الجوهـرة...هيا خذها واترك لى أمر القطيع.

فرد عليه مؤمن وقال له:

- وأنا لا يمكن أن أخـون سـينـاى والعم مـينوى

وأملى في الله أن يجعل بعد العسر يسراً إن شاء الله.

فقال له الصياد وقد بدا عليه الغضب:

ـ أنت غلام صعب المراس... إنها صفقة رابحة... اسمعني... إنك سوف تموت هنا.

فهز مؤمن رأسه علامة النفى وقال له:

ـ يبدو أننى قد عرفت من أنت... اذهب وإلا أطلقت عليك الكلاب تنهش لحمك... أيها الإبليس..

ـ وقبل أن يتم مؤمن كلامه لم يكن للصياد أثر فى المكان، وكأن الأرض قد ابتلعته، ودخل مؤمن يجرى نحو سيناى ليجده فى حالة جيدة.

فقص عليه الأمر وأدركا أن الشيطان كان يدبر

مؤامـرة ليجـعل مؤمن يخون الأمـانة. . .إلا أنه لم يفلح وعـاد القطيع يـسيـر فى الاتجـاه الصـحـيح وسيناى يتماثل للشفاء.

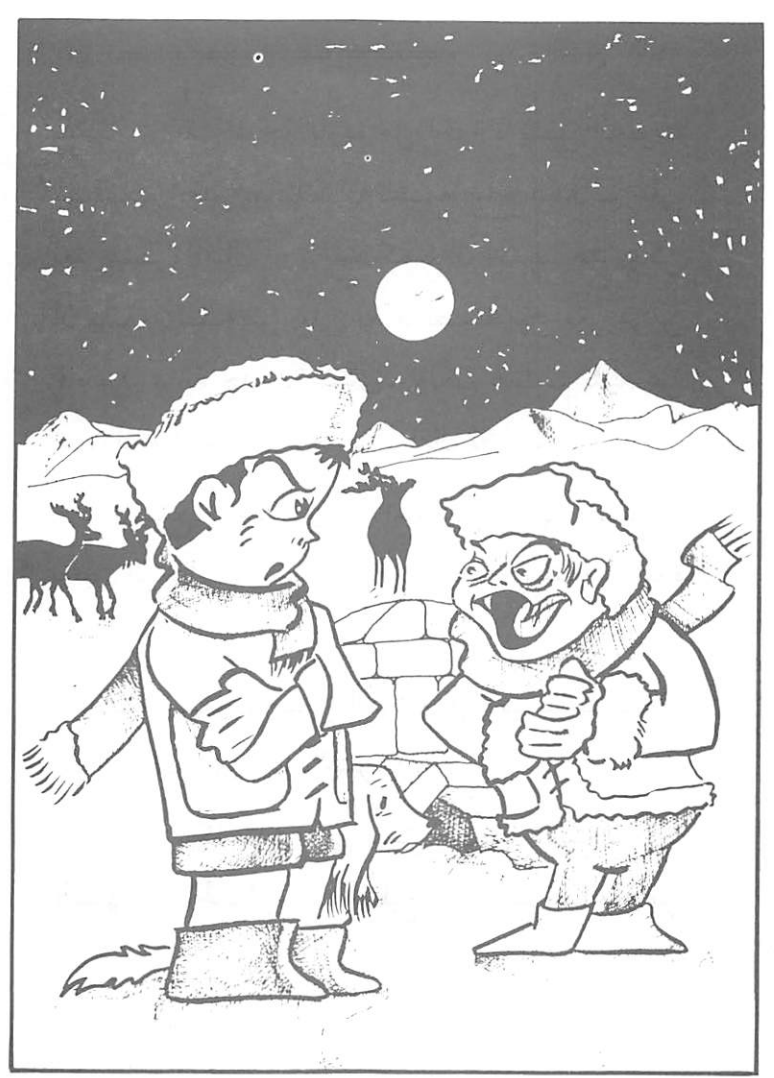
وهكذا أصبح أمل النجاح منهما قيد أنملة. . .لقد كان عدد القطيع مبـشراً بثروة كبيرة أمـا المسافة فلقد أصبحت قصيرة إلى حد كبير، وأصبح القطيع أكثر وداعة من قـبل، وكأن الحـيوانات قد تعـرفت على صاحبها.

وأثناء السير سمع مـؤمن ثمة همس يأتى إليه من بعيد فتوقف عن السير وقال لسيناي:

- أتسمع؟ هناك من يتكلم يا سيناي؟

فابتسم سيناى وقال له:

- مـا زالت تتـعلم يا صـديقى من غـرائب



بلادنا. . .ففى درجة باردة من الحرارة ينتقل الصوت لمسافات أبعد فيمكنك أن تسمع نباح الكلاب على بعد عشرة أميال أو يزيد، كما أن حديثنا هذا يمكن أن يسمعه الشخص على بعد نصف ميل فغر مؤمن فاه من غرابة حديث سيناي، ولكن هذا لم يثنيه عن محاولة متابعة ما يسمعه . . .فقال لصديقه:

- اسمع يا سيناي. . .اسمع. . .إنها أصوات بعض الرجال. . .لقد سمعت كلمة « القطيع » عدة مرات.

انتبه سيناى وأصغى السمع فإذا بهما يسمعان حواراً خطيراً وإن كان مشوشاً.

وكانت الكلمات التى تصل إليهما **«نستعد. . . السهام والحراب. . .القطيع. . .بعد ساعة من**

الآن... اثنان... نطوق... ثروة... أحدهما... فلنقتلهما إذن».

ارتعـدت أوصال سـيناى لما سمع هذه الكلمـات، وبدا عليه الخوف ولكن مؤمن سأله:

ـ ما الذى يخيفك يا سيناي؟... أهناك خطر؟

فقال سيناي:

ـ هذه الأصوات لا تبعد عنا كثيراً وأنهم بين أربعة وخمـسة رجال... ويبـدو أنهم من قطاع الطرق، إن كلماتهم تدل على أنهم يتتبعوننا، وأن حملتهم علينا قد اقتربت.

فقال مؤمن:

ـ إذن ليس أمامنا سوى ساعـة واحدة حتى نحتاط

للأمر.

ولكن بدا التـجهم علـى وجه سـيناي ، وهبطت قطرات العرق البـاردة من جبهـته وكأنه قد اسـتسلم لليأس.

ولكن مؤمن أخذه من ذراعه وقال له:

- لا تيـأس يا رفـيـقـي. .إن الله مـعنا. . لا تحزن. .ألا تعرف قول الله تعالى فى هذا الأمر؟

فقال سيناي:

- مـاذا قـال فى هذا الأمـر أيضـاً؟. .والله قـد ضـعنا. .ولا أعتـقد أن فى هذا الذى سـتقـول أى منجاة لنا .

فقال مؤمن:

قال تعالي﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله، والله ذو فضل عظيم ﴾

كادت الدموع أن تهبط من مقلتى سيناى وقد تأثر بكلام الله تعالى وقال:

ـ الله... ما أحلى هذا الكلام... نعم نحن بحاجة لعون الله... وبحاجة للشجاعة... حسبنا الله ونعم الوكيل .

فرح مؤمن بتقبل سيناى للأمر فقال له:

ـ إن ساعة واحدة تحتاج منا لمجهود

عظيم. . .اسمعني يا سيناي. . لابد أن هناك مكاناً سنبلغه بعد ساعة،وهم يتوقعون ملاقاتنا فيه. . .لذا. . .فعلينا أن نتوقف هنا، ونرى ما سنفعله. . .اسمع. . . إن الحيلة والخدعة هى التى ستنقذنا. . .ونحن لا قبل لنا بالقتال ومعنا هذا القطيع. . .وعليك بإتباع أوامرى كلها من الآن.

عليك أولاً بمحاولة إجلاس القطيع مطروحة أرضاً بأن تبدأ ذلك مع قائدهم باستخدام الكرباج ثم انثر عليهم فرشاً من الثلج حتى تخفيهم عن الأعين، أما أنا فسآخذ الزحافة وسأتجه فى الناحية العكسية مسافة نصف الساعة وهناك سأوقد ناراً ثم أتركها وأعود إليك لأساعدك، ولا شك أن هذه العصابة عندما لا تجدنا ستتجه نحو النار ونكون نحن قد خرجنا من

مجال مراقبتهم.

ولم يكن هناك غير هذا الحل. . . فلقد انطلق مؤمن على زحافته حتى أتى مكاناً فأشعل فيه جذوة من النار وربط بعض الحبال الصغيرة فى قطع من عظام الكاريبو وقرونه. . . فكان الهواء يضربها فتصنع صوتاً منتظماً، وثبت العصا جيداً فى الجليد، ثم استدار عائدا بسرعة حتى وصل إلى سيناي الذى قد نجح فى نثر الثلج المبشور فوق القطيع والكلاب، فأصبح لا يرى من بعيد إلا كأنه جزء من الجليد الأبيض الذى يغطى المكان. ثم جلس مؤمن وسيناى وأخفيا نفسيهما جيداً. ومرت ساعة فإذا بأصوات عصابة قطاع الطرق تقترب، وظلوا واقفين يبحثون عن القطيع فى حيرة بالغة، ويتلاومون ويتصايحون.

فقال أحدهم:

ـ صدقونى يا إخـواني. . .لقد تتبعـتهم حتى هذا المكان. . .أين ذهبوا إذن؟ هل انشقت الأرض بهم؟

ـ وقال ثان:

ـ المصيـبة أننا لا نعـرف وجهتم. . . لـو عرفناها لانتظرناهم هنـاك. . .أيكونون قد سـاروا فى اتجـاه الشرق؟

فقال ثالث:

ـ أنصـتـوا قليـلاً. .إنى أسـمع صوت حـوافـر الكاريبو من هنا. . .إنها من هذا الاتجاه.

وصوبوا أبصارهم ، فهتف الرجل:

هناك . . .أنا أرى النار. . .ها هى النار على البعد

يا إخواني.

ولما لمحوا الغازات المتصاعدة من النار التى أشعلها مؤمن صاحوا صيحة المغنم، وانطلقوا يجرون فى اتجاهها.

وبعد أن ابتعدوا قام مؤمن وعانق سيناي فرحاً بالنجاة، وقال مؤمن:

ـ علينا بالإسراع يا سيناي. . الإسراع فى نفس اتجاهنا . . . هيا.

ولم يكن باقياً فى الرحلة إلا مسافة بسيطة قطعوها جميعاً حتى مشارف الأرض التى يعيش بها العم مينوي. . فكان الرجال يشاهدون القطيع من بعيد، فيقتربون ليفاجأوا بسيناى ومؤمن فيهنئونهما، وأعينهم تفيض بالإعجاب والدهشة. . . أما النساء فلقد

انطلقت حناجـرهم بالغناء والزغاريد. . .الـكل كان يعرف العم مينوى وولده سـيناي. . . وكانوا يعرفون أن مـينوى تاجـر شريف كـمـا هو صـياد مـاهر. والفرحة عمت أرجاء البلد والقطيع الكبير يقترب من قرية مـينوى الصغيـرة. . .إن هذا الصيد يعني حـياة رغدة لكل البلدة وما حـولها. . . ذاك لأن مينوى لا يحب الربح الكثـيـر. . .إنه دائمـاً كـان يصطاد مع رفـاقه، ثم يبـيع للناس ما صـاده بأقل الأسعـار، فأحــبه الناس حبـاً كثيـراً، ولولا عظم حجم الدين الذى فى رقبته للمدعو سـاكوم. . .لكانوا جمعوه له ، ولكنهم فى هذه البلاد يعانون فقراً مدقعاً.

وانتخب مؤمن وسيناى مكاناً رحباً آمناً فأوقفا فيه القطيع، فأقـبل عليهم أهل القرية يـهنئونهم، ولكن أحد الرجال قال بلهجة حزينة:

ـ يا سيناى . . . أسرع يا ولدي. . فالساكوم سيبيع داركم الآن وبقية ممتلكاتكم.

لم يفكر سيناى فى أى شئ بل ترك القطيع لمؤمن وجرى نحو بيت أبيه مينوي، فوجد الساكوم ورجاله على وشك عمل المزاد لبيع الدار، ومينوى مطروحٌ على فرشة من الجلد حزيناً، وبجانبه زوجته والدة سيناي. . . فلما رأى سيناى سُرَّ به وصاح للساكوم:

ـ أيها الساكوم. . . توقف عن البيع. . .

وارتمى سيناى فى أحضان أمه وأبيه ثم قال للساكوم:

ـ توقف أيها الرجل. . . سنسدد دينك فى خلال أيام.

ولكن الساكوم قال:

ـ ولا ساعة أخرى يا صديقي. . هذا مرسوم حكومى بذلك.

لم يكن مؤمن الذى كان يقف بجانب القطيع ليدخر وقتاً آخر. . . فلقد أخذ يبيع من الحيوانات لكل من رغب فى الشراء ، بأقل الأسعار، والناس قد تزاحموا عليه وكأنهم كانوا يتابعون رحلته من البداية.

وفجأة توقف مؤمن عن البيع، وأرجأ هذه العملية لوقت آخر، ووعد الناس بذلك فلقد أصبح فى يده مبلغ الدين ويزيد.

وكان سيناى يحاول أن يثنى ساكوم ورجاله عن مسألة البيع، فإذا بمؤمن يقتحم الجمع رافعاً يده بالمال للساكوم أمام الناس وقال هاتفاً:

ـ هاك مـبلغ الدين أيهـا الرجل. . . أوقف مسـألة المزاد.

لم يصـدق الساكـوم نفسـه وهو ينظر للمـال فى يده، ولـم يصدق مينوى العجوز نفسه أيضاً من غمرة فرحته، ولـم يشعر بالشلل الذى أصابه من قبل، فلقد أراد أن يحتضن مؤمن ويقبله؛ فـقام من فراشه يجرى نحوه ويقبله، ولـم يفطن إلا على أصوات الناس وهم يتعجبون منه. . كيف مشى؟!.. لقد شُفي مينوى.. لقد شُفي مينوى.

ولما نظر لحاله ولوقـوفه على الأرض الذى لم يكن قادراً عليـه منذ شهور مـضت؛ فرح فرحاً عظيـماً، وأخذ الناس يقبلونه ويقبلهم حتى أنه فى غمرة فرحته احتضن الساكوم نفسه فسأله:

أيها العم مينوي. . . من هذا الشاب الذى بصحبة سيناي؟. . وما وجه القرابة بالنسبة لك؟

فبادره عليه مؤمن قائلاً:

ـ أيها السيد الوقور. . . إن العم مينوى قد أنقذنى من الموت، وإن ما فعلته معــه ردٌ للجميل ووفاءً له، وأنا من مصر ولقد جئت هنا فى رحلة.

فقال له الرجل:

ـ وهل عرضت نفسك لكل هذه المخاطر من أجل صياد لا تعرف عنه شيئاً، فقط لأنه أكرمك؟!!. لقد غلبتنى بأخلاقك. . وكشــفت لي عن مساوئي وعدم صبــرى على دين الرجل ، لقد عــلمتنى أيهــا الفتى درساً بليغاً ،... ها هو الدين. . لقد تنازلت لك عنه أيهــا العم مــينوي. . وبارك الله لكم فى صــاحــبكم



هذا. . . وإن له عندى هدية. . . هى أغلى ما يعطيه رجل الإسكيــمــو إلى غــريب من بــلاد نهــر النيل. . . هذه الياقـوتة الغاليـة. . . لقد أهدانى أياها شيخ مصــرى عندما كنت شاباً صغـيراً. . وها أنت أيها الفتى المصرى الوفى تستردها. . خذها هدية منى لك.

نظر مؤمن إلى الجوهرة مبــهوراً وتذكر على الفور أمر التــاج وأدرك أنها جوهرة الــوفاء وسرح بخــياله وتخيل كيف تكون سعادة والدته بعودته سليماً معافاً من هذه المغامرة الشاقة ...

تمت بحمد الله تعالى

وإلي اللقاء ..مع مـؤمن في ...

«جوهرة البريق الغامض»..

وإلى أللقاء مع ...
جوهرة البريق الغامض «7»

قال ريحان :

أن هناك حيوان خرافى يسكن بطن الجبل ، وعندما يخرج من كهفه تلمع عيناه بهذا البريق إنه يؤكد ذلك ويقول أن هناك شهود عيان قد أكدوا رؤيتهم لهذا الوحش وتعرضوا له ثم نجوا منه بأعجوبة ..

مع تحيات

دار الدعوة

للطبع والنشر والتوزيع

تمتع مع مؤمن فى :

١ـ جوهـرة الكهـف المسحـور .

٢ـ جوهـرة البحـر الســابـع .

٣ـ جوهـرة البركـان الأحمـر.

٤ـ جوهـرة مملكـة الموتي .

٥ـ جوهـرة الأدغـال المتـوحشـة.

٦ـ جوهـرة الصقيع المظلم .

٧ـ جوهـرة البريق الغامض .

٨ ـ جوهـرة المدينة المتحجرة.

٩ـ جوهـرة ميناء المذبح .

١٠ـ جوهـرة الرمال الملتهبة

مع تحيات

دار الدعوة